الأيقونات القبطية في مصر والاستفادة منها في مجال فنون أشغال الخشب

دراسة مراجعة

* اسراء طارق حسني علي
* الدارسة بمرحلة الماجستير، قسم الأشغال الفنية والتراث الشعبي، تخصص أشغال الخشب، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.
البريد الإليكتروني: esraa.tarek.es@gmail.com

تاريخ المقال:

- تاريخ تسليم البحث الكامل للمجلة: 24 يونيو 2021
- تاريخ القرار الأول لهيئة التحرير: 26 يونيو 2021
- تاريخ تسليم النسخة المنقحة: 27 اغسطس 2021
- تاريخ موافقة هيئة التحرير على النشر: 05 سبتمبر 2021

الملخص:

يتميز الفن القبطى بشخصيته الفريدة فهو من أهم الفنون التى تميزت بثراء فنى؛ فقد أستخدم الفن القبطى الرموز وجعل منها مفردات خاصه به، فالفن القبطى يلقب في بعض الاحيان بالفن الشعبي عبر من خلاله الفنان عن معتقده الدينى وقد غلب الطابع الدينى على هذا الفن، وتأثر الفن القبطى بالفنون السابقة ومنها الفن البيزينطى، فقاموا بعمل الأيقونات القبطية وهى عبارة عن رسم دقيق لشخص ما وكانت تستخدم العديد من المواد للرسم ومن أهمها الخشب، فقد قاموا بحفر ونقش صورهم الدينية على الخشب وأصبحت الأيقونات من العلامات المميزة للفن القبطى حيث تشكل جانب دينى هام وعلي هذا لا تخلو منها أى كنيسة فهي تعتبر أعمال فنية مقدسة يتم رسمها طبقا للطقوس الدينية لأنها من الكتاب المقدس والهدف الأساسي من الأيقونة هو التعليم الديني. ويتناول البحث كيفية الأستفادة من الأيقونات القبطية في مجال فنون أشغال الخشب عن طريق دراسة تحليلية ووصفية للأيقونة، أنواعها، سماتها والعوامل التى أثرت على أختفاء الأيقونات القبطية لتكون منطلق لأبداع أعمال خشبية تعتمد على الأسس البنائية والفنية للأيقونات القبطية. ينقسم البحث إلى منطلقين فكرى وتقنى، المنطلق الفكرى يتناول الإطار النظرى ودراسة وتحليل الأيقونات القبطية فى مصر والوصول للدلالات الرمزية فى الأيقونات؛ أما المنطلق التقنى يتناول التقنيات المستخدمة فى مجال فنون أشغال الخشب.

الكلمات المفتاحية: الفن القبطى، الأيقونة القبطية، أشغال الخشب.

المقدمة :

عبر الفرد عن الفنون بمختلف أنواعها في شخصيته منذ العصور القديمة، برغم صعوبة الحياة مع الإنسان البدائي إلا إنه لم تخلو حاجاته من الزخارف المحفورة أو المرسومة سواء كانت زخارف نباتية أو حيوانية أو أشكال آدمية.

إن الفن القبطي حافز للإنسان على نحو غير مباشر إلى التأمل في الموضوعات الدينية والتعلم منها؛ فن مصري أصيل والدليل على تأثير الفن المصرى القديم على الفن القبطي هو استعمال الحرف الهيروغليفي (عنخ) الذي يرمز إلى الحياة، ليمثل صليب مسيحي مصر؛ فضلاً عن ذلك تأثر هذا الفن بالحضارات الرومانية والبيزنطية.

تعد الأيقونات جزء مهم في الكنائس، فلا تخلو كنيسة منها والهدف الأساسي من الأيقونة هو التعليم الديني؛ تشكل الأيقونات جانباً من الفن الديني، فهي التزمت بمعايير معينة في الشكل والمضمون وقد اختيرت للأيقونة المناظر التي صورت القديسين على أساس سمات الفن القبطي.

"وهي الترجمة الأمينة والسهلة للكتاب المقدس بل يمكننا أن نقول أن الكتاب المقدس مكتوبا بلغة مفرداتها الألوان والخطوط وتحمل الكثير من الروح الذي ينفذ إلى قلوب وعقول المتلقين من جماعة المؤمنين"، ومن خلال الرموز والأشكال يمكن فهم الأيقونات حيث تصبح الرموز والأشكال وسيلة لفهم لغة الأيقونة القبطية، وتوضح قواعد الإبداع الفنى في الرمزية.

تعتبر الأيقونات القبطية أعمال فنية مقدسة يتم رسمها طبقاً للطقوس الدينية لأنها مستوحاة من الكتاب المقدس، ويعتبر فن الأيقونة من أكثر فنون التصوير التي تأثر في وقت من الأوقات بالفن البيزنطى، وكان يوجد الكثير من مراكز التصوير هذا الفن في العالم الرومانى والبيزنطى وتميز كل منها بأسلوب خاص وكان أسلوبها مستوحى من مصر في تصوير وجوه الفيوم.

عند ظهور الأيقونات كان يوجد كثير من المعارضين وأيضا مؤيدين فقد رأى البعض إنها عادة وثنية وأكدوا على عدم إمكانية تصوير المسيح والسيدة العذراء.

وقد ذكر أحد المراجع "على عدم أمكانية تصوير المسيح على أنه إله (حسب العقيدة) والآلة لا يمكن رسمه ولكن فقط يمكن الرمز إليه عن طريق الصليب" أما المؤيدين فقد رأوا الأيقونة وسيلة تعليمية فقط والغرض منها تعليم تعليمات الكتاب المقدس لدى عامة الشعب وجاهلي القراءة.

وفيما يلي نستعرض أهم السمات التي تميز الأيقونات القبطية:

السمات العامة للأيقونة القبطية:

1. الأيقونة تستمد وتعكس مواضيع من الكتاب المقدس فهي يمكن أن تعتبر إنجيل مفتوح مرسوم بالألوان والخطوط.
2. تلتزم الأيقونة بقواعد صارمة في التنفيذ من حيث الالتزام بالعقيدة.
3. الأيقونة تعبر عن مواضيع وشخصيات مقدسة.
4. الأيقونة تصور موضوعاتها بحيث تظهر بطرق معينة من حيث الملامح.
5. الأيقونة لها بعد تعبيرى ورمزى، فنلاحظ في الأيقونة الأعين متسعة لإبراز قوة الروح الساكنة فيها في بعض الأساليب.
6. الأيقونة تمثل الحياة المفرحة، فنلاحظ لا توجد أيقونة تصور الجحيم ولا تصور الشياطين إلا في الضرورة تحت الأقدام.

العوامل المؤثرة على اختفاء الأيقونات القبطية:

"هناك عوامل أثرت على اختفاء الأيقونات القبطية فقد كان "في عام 726م أصدر الإمبراطور ليو الثالث قرارا بتحريم الصور الدينية وأمر بتحطيمها وحدثت ثورة ضد هذا القرار ليست في القسطنطينية وحدها بل في البلقان وفي الأقاليم الغربية وخاصة إيطاليا، وردا على ذلك قام ليو بإقالة بطريرك القسطنطينية في عام 730م، وأقام خلفا له بطريرك آخر ممن يؤيدون سياسة المناهضة لعبادة الصور الدينية وقام في الوقت نفسه بإغلاق المدارس التابعة للكنيسة".

مرت الأيقونات القبطية بمراحل مختلفة فالمرحلة الأولى يعتمد على التعبير الرمزي ويشير أحد المراجع بقوله: "في بداية القرون الأولي انحصرت الأيقونات على التعبير الرمزي وهي تسمى مرحلة الرمز، ترمز العصافير للروح ذات الأجنحة وقد استعملت "العصافير كناية عن الروحيات، وأيضا الطاووس أتخذ رمزا للقديسة بربارة التي اشتهرت بعفافها، طهارتها وجمالها، والأسد يرمز إلى السيد المسيح".

ويشير بعض الباحثين على أن "سبب اختفاء الأيقونات أو ندرتها خلال فترة طويلة -تمتد من القرن الرابع عشر وحتى القرن السابع عشر- يرجع إلى عاملين أساسيين: أولهما وهو الأقل، التخريب والهدم للكنائس والأديرة الذي حدث في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادى، وبالتإلى شمل هذا التخريب الأيقونات والمنتجات الفنية الأخرى"؛ أما العامل الثانى فهو الرئيسى حيث كانت الأيقونات القديمة تستخدم في عملية إعداد زيت الميرون كنوع من الوقود لإعداد الزيت المقدس وهذا أدى إلى إنهيار عدد كبير من الأيقونات بسبب دخان الشموع الموقودة أمامها

ويؤكد ذلك أحد المراجع بأن "أستخدام الأيقونات القديمة فى عملية إعداد زيت الميرون(*)، وذلك بإستخدامها كوقود لإعداد هذا الزيت المقدس حيث ترفع الأيقونات القديمة التى طمست معالمها بسبب دخان الشموع الموقودة أمامها، وتحفظ فى مكان مناسب إلى حين أستخدامها فى عملية إعداد الميرون".

انتقلت الأيقونات من مرحلة الرمز إلى مرحلة التصوير القصصي استنادا للأنجيل، (وقد تعددت مراحل تطور الأيقونة، ولكن من الواقع رؤيتنا لنموها عبر العصور نستطيع أن نقسم تاريخ الأيقونات إلى مراحل ثلاث، وإن كانت هذه المراحل متداخلة إلا أنها تعطينا فكرة عن تطور الفكر الخاص بالأيقونة: **مرحلة الرموز**: استخدمت الرموز في القرنين الأول والثاني على نطاق واسع فيظهر السيد المسيح في رمز من رموزه المتعددة مثل شكل سمكة. **مرحلة أيقونات الكتاب المقدس**: استخدمت الكنيسة الأولى أيقونات تصور موضوعات من الكتاب المقدس بقصد التعليم كان ذلك طبيعيا حيث انتشرت المسيحية في العالم كله في ذلك الحين. **مرحلة الأيقونات الأسخاتولوجية(الأخروية)**: في هذه المرحلة أتجه المصريين لممارسة الحياة الرهبانية فجاءت العبادة الكنيسة والأيقونات في ذلك الحين تحمل اتجاهاً إسخاتولوجيا قويا فظهرت الأيقونات التالية: (أيقونة الشهداء والقديسين _أيقونة الملائكة _ أيقونات الأخروية.)

أنواع الأيقونات القبطية:

قد تنوعت أساليب الأيقونة القبطية من القرن الخامس الميلادي إلى القرن التاسع عشر الميلادي، وفيما يلى تقوم الدارسة بتصنيف أنواع الأيقونات على النحو التالى تتبعا لموضوعاته:

أيقونات الكتاب المقدس:

وهي الأيقونات التي تعبر عن قصص في الكتاب المقدس، وهي لأحداث هامة في حياة المسيح والسيدة العذراء.

على سبيل المثال أيقونة هروب العائلة المقدسة إلى مصر وتصور الأيقونة هروب العائلة المقدسة إلى مصر، ونرى السيدة العذراء تحمل السيد المسيح وهم على ظهر الحمار ويوجد في خلفهم القديس يوسف النجار، ويظهر في الخلف نخلتين كما يوضح في شكل (1)، وأيضا أيقونة العذراء والطفل ويصور في هذه الأيقونة السيدة العذراء تحمل السيد المسيح وعلي رأسها تاج ويظهر في الخلفية ملائكان كما يوضح في شكل (2).

أيقونات القديسين:

هي أيقونات تصور حياتهم وقصص استشهاد القديسين، وهي تعتمد على القصص الموروثة من الكنيسة، ويوجد أيقونات قديسين فرسان، أيقونات القديسين وأيقونات الملائكة.

ومن الأيقونات نذكر منها أيقونة القديس اسيليدس يظهر قديس فارس على ظهر حصان ويوجد في يده رمح ينتهي بصليب ومن أعلى جهة إلى مين يظهر قديس أمام منارة كنيسة كما يوضح في شكل(3)، وأيقونة القديس تادرس الشطبي يظهر قديس فارس على ظهر حصان ويوجد في يده رمح ينتهي بصليب ويطعن بيه ثعبان، ويوجد ناحية الشمال سيدة، ويوجد في الأسفل رجل مقيد اليدين والأرجل في شجرة كما يوضح في شكل(4).

الأيقونات المركبة:

هي الأيقونات التي يوجد بها مراحل كثيرة ولابد من أن السيدة العذراء أو السيد المسيح يتوسط الأيقونة، أيقونة العذراء والطفل تصور الأيقونة العذراء والطفل، تظهر السيدة العذراء وهي تحمل للسيد المسيح يوجد على رأسها تاج و ملائكين، ويظهر أيضا مجموعة من الأيقونات تحكى قصة حياتهم كما يوضح في شكل(5)، أيقونة السيدة العذراء والأربعين كما يوضح في شكل(6).

الدراسات المرتبطة:

<u>دراسة بعنوان(الإمكانات الفنية و التشكيلية الأحجبة الخشبية فى الأبنية الدينية فى مصر والإفادة منها فى عمل مشغولات خشبية مبتكرة)(1999):</u>

تناولت الدراسة أوجه التشابه و الأختلاف فى الأحجبة الخشبية فى الكنائس و المساجد. وتهدف أيضا الى التعرف على الأمكانات الفنية و التشكيلية لتلك الأحجبة فى الكنائس و المساجد. وتتفق هذه الدراسة مع البحث الحالي فى أنه يتناول الجزء التاريخى الوصفى للفن القبطى وأيضا فى التقنيات والأساليب المستخدمة فى المنتجات الخاصة بالبحث حيث قام البحث بأدماج الفن القبطى مع الفن الأسلامى بتقنيات وأساليب أشغال الخشب. وتختلف هذة الدراسة مع البحث الحالي حيث تناولت الأستفادة من الأحجبة الخشبية فى الأبنية الدينية وأما البحث الحالي يتناول الأيقونة القبطية والأستفادة منها فى

(*) الميرون: هو زيت يصنع من دهون وعطور محددة، ليدهن به الطفل بعد عماده، وهذه العملية تمثل سرا من أسرار الكنيسة القبطية السبعة. وإعداد هذا الزيت يتطلب مجهودات كبيرة ومبالغ كثيرة، ويسجل بالفخر في تاريخ البطاركة.

مجال أشغال الخشب.

دراسة بعنوان "دراسة علاج وصيانة الأيقونات القبطية تطبيقا على الأيقونات من بعض متاحف وكنائس وأديرة الوجه البحرى 1997م:

تناولت الدراسة الأيقونات القبطية من الآتجاه التاريخي حيث تناول البحث تاريخ تحطيم الأيقونات القبطية وأيضا الأيقونات القبطية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادى وتناول أيضا أهم ملامح الأيقونة وأهم الموضوعات التى تناولتها الأيقونة القبطية.

وتختلف هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في أختلاف المجال حيت تناول دراسة علاج وصيانة الأيقونات في المتاحف وأديرة أما البحث الحالي يتناول الأيقونات القبطية وأستفادة منها في مجال فنون أشغال الخشب.

دراسة بعنوان "الزخارف النباتية في المخطوطات القبطية من القرن الرابع إلى القرن التاسع الميلادي1999م:

تناولت هذه الدراسة الزخارف النباتية المستخدمة في الأيقونات القبطية ومدلولاتها في القرن الرابع الميلادى إلى القرن التاسع الميلادى، تختلف مع البحث الحالي فى مجال التخصص وأيضا البحث الحالي يتناول دراسة تاريخية عن الأيقونة القبطية والأستفادة منها في فنون أشغال الخشب.

دراسة بعنوان " دراسة تقنية وعلاج وصيانة الآثار الخشبية اليونانية الرومانية والقبطية في مصر مع التطبيق على أحد الآثار الخشبية المختارة 2005م:

وتناولت هذه الدراسة أهم الزخارف المستخدمة فى الآثار القبطية وتناولت أيضا تقنيات علاج الآثار الخشبية، وتختلف مع البحث الحالي حيث البحث الحالى يتناول الأيقونة القبطية والأستفادة منها فى مجال أشغال الخشب.

دراسة بعنوان الأسس التصميمية للأيقونات القبطية كمدخل للرسوم التوضيحية (2009):

تناولت الدراسة التصميمية لأيقونات القبطية كمدخل للرسوم التوضيحية حيث أنه رسم بعض الرسومات التوضيحية من خلال أسس الأيقونة القبطية وأيضا دراسة الفن القبطى وتأثيره على الفن المعاصر، وتجربة ذاتية التى قام بها الباحث فى مجال الرسوم التوضيحية وتناول دراسة بعض الأيقونات فى بعض العصور وتطبيق ذلك على نص من نصوص ألف ليلة وليلة .

ويتفق هذه الدراسة مع البحث الحالي فى تناول الجزء التاريخى الوصفى للفن القبطى، ودراسة بعض الأيقونات من القرن الخامس إلى القرن التاسع عشر. وتختلف هذه الدراسة مع البحث الحالي فى أختلاف المجال حيث تناول الأيقونة القبطية كمدخل للرسوم التوضيحية فى نص من نصوص ألف ليلة وليلة فى مجال التصميم وأما البحث الحالي يتناول الأيقونة القبطية في مصر والأستفادة منها فى مجال أشغال الخشب لأستحداث مشغولة خشبية.

دراسة بعنوان "دراسة مقارنة لمدارس الترميم الأجنبية في علاج وصيانة أيقونات التمبرا الموجودة في مصر مع التطبيقات العملية2010م:

تناولت هذه الدراسة الأيقونات القبطية بأسلوب التمبرا الموجودة في مصر وعلاجها وصيانتها عن طريق عمل مقارنة لبعض المدارس الأجنبية التى تهتم بالترميم، وتناولت أيضا طرق تحضير الأيقونة وتكنيك رسمها.

وتختلف هذه الدراسة مع الدراسة الحالية حيث البحث الحالى يتناول دراسة تاريخية عن الأيقونة القبطية والأستفادة منها في فنون أشغال الخشب.

دراسة بعنوان دراسة علمية لتقنيات الأيقونات الحبشية فى مصر وطرق ترميمها وصيانتها تطبيقا على أحد النماذج المختارة 2011م:

تناولت هذه الدراسة طرق ترميم الأيقونة الحبشية في مصر وتناولت أيضا تقسيم الأيقونات في مصر حسب التركيب البنائي، وتختلف هذه الدراسة مع البحث الحالى حيث البحث الحالي يتناول الأيقونة القبطية والأستفادة منها في فنون أشغال الخشب.

تحليل الفجوة:

نظرا للقيمة الفنية والتاريخية لأيقونات بالكنائس القبطية وأنها لم تأخذ حقها بالدراسة والتحليل فى مجال فنون أشغال الخشب على الرغم من أنها تمثل جانبا هاما من الفن القبطى فى مصر، وقد وجدت الدارسة أن هناك مجموعة من المداخل الفنية التى يمكن من خلالها إعادة صياغة لمثل هذه الأيقونات منها المضمون الرمزى والتعبيرى، الشخصيات الدينية وصياغتها الفنية؛ الخامة ودورها فى إثراء الأيقونة.

المداخل المقترحة:

المدخل الأول: من المنطلق الفكرى لإطار النظرى ودراسة وتحليل الأيقونات القبطية فى مصر والوصول للدلالات الرمزية فى الأيقونات.

المدخل الثانى: من خلال المنطلق التقنى حيث أن التقنيات المستخدمة فى مجال فنون أشغال الخشب سوف يتم أختيار ما

يناسب منها فى التعبير عن الدلالات الرمزية فى الأيقونات القبطية. وذلك من خلال التجريب بأعتباره ممارسة فعالة للكشف والتعلم والأبداع.

شكل (1) أيقونة هروب العائلة المقدسة إلى مصر
رسم يوحنا الأرمني وإبراهيم الناسخ

شكل (2)أيقونة العذراء والطفل

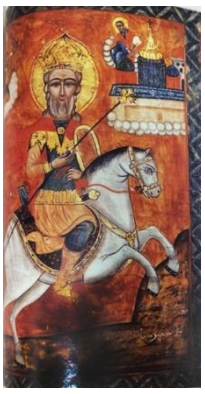

شكل (3).
أيقونة تمثل القديس واسيليدس
القرن الثامن عشر الميلادي
توجد في كنيسة العذراء (مصر القديمة)
المصدر: كتاب مختارات من التراث المصري أيقونات المتحف القبطي.

شكل (4)
أيقونة القديس تادرس الشطبي
القرن الثامن عشر الميلادي
محفوظ بالكنيسة المعلقة بالقاهرة (تصوير الدارسة)

شكل(5) أيقونة العذراء والطفل القرن 18
محفوظ بالكنيسة المعلقة بالقاهرة (تصوير الدارسة)

شكل(6) أيقونة السيدة العذراء والأربعين
محفوظ بالكنيسة المعلقة بالقاهرة (تصوير الدارسة)

المراجع

1- سميرة لمعى، 2019م، رحلة حياة ثرية للفن القبطي في حياة الرائدين د.يوسف نصيف ود.بدور لطيف، مطبعة النوبار، القاهرة.
2- عبد الرحمن محمد عبد الرحمن: 1997م، دراسة علاج وصيانة الأيقونات القبطية تطبيقا على الأيقونات من بعض متاحف وكنائس وأديرة الوجه البحرى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة.
3- مجدى جرجس: 2015م، يوحنا الأرمنى وأيقونات القبطية فنان فى القاهرة العثمانية، مكتبة الأسرة
4- جمال هرمينا: 2007م، مدخل لتأريخ الفن القبطى، مطابع ميناس برنت.
5- يوساب السريانى: 1995، الفن القبطي ودوره الرائد بين فنون العالم المسيحي الجزء الأول، مطبعة الأنبارويس.
6- هشام سمير حبيب: 1999م، الإمكانات الفنية و التشكيلية لأحجبة الخشبية فى الأبنية الدينية فى مصر والإفادة منها فى عمل مشغولات خشبية مبتكرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.

7- جمال هرمينا بطرس: 1999م، الزخارف النباتية في المخطوطات القبطية من القرن الرابع إلى القرن التاسع الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة.
8- نجلاء محمود على حسن: 2005م، دراسة تقنية وعلاج وصيانة الآثار الخشبية اليونانية الرومانية والقبطية في مصر مع التطبيق على أحد الآثار الخشبية المختارة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة.
9- شادى أديب نجيب سلامة: 2009م، الأسس التصميمية للأيقونات القبطية كمدخل للرسوم التوضيحية، رساله ماجستيرغير منشورة، كليه التربية الفنية، جامعة حلوان، القاهره.
10- وديع بطرس عبد الملك بطرس: 2010م، دراسة مقارنة لمدارس الترميم الأجنبية في علاج وصيانة أيقونات التمبرا الموجودة في مصر مع التطبيقات العملية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة.
11- علاء السيد على: 2011م، دراسة علمية لتقنيات الأيقونات الحبشية فى مصر وطرق ترميمها وصيانتها تطبيقا على أحد النماذج المختارة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة.